الدرس الثلاثون: تجنب كبائر الذنوب

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد..

أحبتي في الله، نحن على موعد مع ورع عطاء بن يسار: فعن عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم قال: خرج عطاء بن يسار وسليمان بن يسار حاجين من المدينة، ومعهما أصحاب لهم، حتى إذا كانوا بالأبواء نزلوا منزلا، فانطلق سليمان وأصحابه لبعض حاجتهم وبقي عطاء بن يسار قائما في المنزل يصلي.

قال: فدخلت عليه امرأة من الأعراب جميلة فلما رآها عطاء ظن أن لها حاجة فأوجز في صلاته، ثم قال: ألك حاجة؟ قالت: نعم. قال: ما هي؟ قالت: قم فأصب مني فإني قد ودقت - أي اشتقت للرجال - ولا بعل لي - أي ولا زوج لي - فقال: إليك عني - أي ابتعدي عني لا تحرقيني ونفسك بالنار، فجعلت تراوده عن نفسه ويأبى إلا ما يريد، قال: فجعل عطاء يبكي ويقول: ويحك إليك عني، قال: اشتد بكاؤه فلما نظرت المرأة إليه وما داخله من البكاء والجزع بكت المرأة لبكائه، قال: فجعل يبكي والمرأة بين يديه تبكي. فبينما هو كذلك إذ جاء سليمان من حاجته فلما نظر إلى عطاء يبكي والمرأة بين يديه تبكي في ناحية البيت بكى لبكائهما لا يدري ما أبكاهما وجعل أصحابهما يأتون رجلا رجلا كلما أتى رجل فرآهم يبكون جلس يبكي لبكائهم لا يسألهم عن أمرهم حتى كثر البكاء وعلا الصوت، فلما رأت الأعرابية ذلك قامت فخرجت.

قال: فقام القوم فدخلوا، فلبث سليمان بعد ذلك وهو لا يسأل أخاه عن قصة المرأة إجلالا له وهيبة، قال: وكان أسن منه، قال: ثم إنهما قدما مصر لبعض حاجتهما فلبثا بها ما شاء الله فبينا عطاء ذات ليلة نائم إذ استيقظ وهو يبكي وقال سليمان: مايبكيك يا أخي؟ قال: فاشتد بكاؤه. قال: ما يبكيك يا أخي؟ قال: رؤيا رأيتها الليلة. قال، وما هي؟ قال: لا تخبر بها

أحدا ما دمت حيا. رأيت يوسف النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فجئت أنظر إليه فيمن ينظر إليه فلما رأيت حُسْنهُ بكيت فنظر إليَّ في الناس فقال: ما يبكيك أيها الرجل؟ فقلت: بأبي أنت وأمي يا نبي الله، ذكرتك وامرأة العزيز وما ابتليت به من أمرها وما لقيت من السجن وفرقة يعقوب، فبكيت من ذلك وجعلت أتعجب منه. قال: فهلا تعجبت من صاحب المرأة البدوية بالأبواء؟ فعرفت الذي أراد فبكيت واستيقظت باكيا، قال سليمان: أي أخي وما كان من حال تلك المرأة؟ فقص عليه عطاء القصة فما أخبر بها سليمان أحدا حتى مات عطاء فحدث بها بعده امرأة من أهله قال: وما شاع هذا الحديث بالمدينة إلا بعد موت سليمان بن يسار ☻ (37).

والله سبحانه وتعالى يحذرنا في محكم كتابه من كبائر الذنوب فيقول سبحانه:{**قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ الله إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**} [الأنعام:151].

وكذلك فإن النبي صلى الله عليه وسلم يحذرنا من كبائر الذنوب في أكثر من حديث فعنِ أبي بَكْرَةَ عَنْ أبيهِ ☺ قَالَ: قَالَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم :"**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ثَلَاثًا قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ الله، قَالَ: الْإِشْرَاكُ بِالله وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ** وجَلَس وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ: **أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ** -قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ [1].

وعَنْ أبي هُرَيْرَةَ ☺ : عَنِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:"**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ** -قَالُوا: يَا رَسُولَ الله وَمَا هُنَّ؟ قَالَ:"**الشِّرْكُ بِالله ، وَالسِّحْرُ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ الله إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَأَكْلُ الرِّبَا ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ** -[2].

وقال ابن عباس ☻ عن كبائر الذنوب: هي إلى السبعين أقربُ منها

(1) (صحيح) أخرجه (خ)2511و(م) 143.
(2) (صحيح) أخرجه (خ) 2615، و(م) 145.

إلى السبع. والصحيح أنها لا تنحصر، وقد ذكر الحافظ الذهبي في كتاب الكبائر سبعين كبيرة، وكبائر الذنوب المنصوص عليها: القتل، والزنا، واللواط، وشرب الخمر، والسرقة، والغصب، والقذف، والنميمة، وشهادة الزور، واليمين الفاجرة، وقطيعة الرحم، وعقوق الوالدين، والفرار عند الزحف، وأكل مال اليتيم، وخيانة الكيل والوزن، والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسب الصحابة، وكتمان الشهادة، والرشوة، والدياثة وهي عدم غيرة الرجل على أهله، ومنع الزكاة، واليأس من رحمة الله، وأمن مكر الله، والظهار، وأكل لحم الخنزير، والميتة، وفطر رمضان بدون عذر شرعي، والغلول، ونشر الفساد في الأرض، والسحر، والربا، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونسيان القرآن بعد حفظه، وإحراق الحيوان بالنار، وامتناع المرأة من زوجها بلا سبب إلى غير ذلك من الكبائر (47)، ويمكن الرجوع لكتاب (زاد المسلم اليومي من العلم الشرعي) لمعرفة المزيد من هذه الكبائر.

والله سبحانه وتعالى يبشر الذين يجتنبون كبائر الذنوب بمغفرة ذنوبهم قال تعالى:**{الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ}** [النجم:32].

المعنى: الذين يبتعدون عن كبائر الذنوب والفواحش إلا اللمم، وهي الذنوب الصغار التي لا يُصِرُّ صاحبها عليها، أو يلمُّ بها العبد على وجه الندرة، فإن هذه مع الإتيان بالواجبات وترك المحرمات، يغفرها الله لهم ويسترها عليهم، إن ربك واسع المغفرة.

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ☺، أَنَّ رَجُلاً أَصَابَ مِن امْرَأَةٍ قُبْلَةً، فَأَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَأَخْبَرَهُ فَأَنْزَلَ الله ♣ :**{وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ}** [هود: ١١٤]، فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا رَسُولَ الله أَلِي هَذَا؟ قَالَ:**"لِجَمِيعِ أُمَّتِي كُلِّهِمْ"** -(1).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ☺، أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم كَانَ يَقُولُ:**"الصَّلَوَاتُ الْخُمْسُ، وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ**

(1) (صحيح) أخرجه (خ) 503و (م) 2763 واللفظ للبخاري.

مَا بَيْنَهُنَّ؛ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ -[1].

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ عُثْمَانَ ☺، فَدَعَا بِطَهُورٍ فَقَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:"مَا مِنَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلاَةٌ مَكْتُوبَةٌ، فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا؛ إِلاَّ كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنْ الذُّنُوبِ؛ مَا لَمْ يُؤْتِ كَبِيرَةً، وَذَلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ - [2].

وَعن ابن عباس ☻ قال: ما رأيت شيئا أشبه باللمم مما قال أَبُو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم :"إِنَّ الله كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنْ الزِّنَا أَدْرَكَ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ فَزِنَا الْعَيْنِ النَّظَرُ - أي إلى العورات والنساء الأجنبيات - وَزِنَا اللِّسَانِ الْمَنْطِقُ - أي النطق بالفحش وما يتعلق بالفجور - وَالنَّفْسُ تَتَمَنَّى وَتَشْتَهِي - أي تسول لصاحبها وتحركه - وَالْفَرْجُ - أي آلة الزنا الحقيقية - يُصَدِّقُ ذَلِكَ كُلَّهُ - أي بفعل ما تمنته النفس - وَيُكَذِّبُهُ - أي بترك الفواحش ومقدماتها - -[3].

معاشر الإخوة، قال فضيلة الشيخ ابن جبرين : إن المعاصي كبيرها وصغيرها لا يجوز التهاون بها، فمقدمة السيئات تعتبر سيئات، والمقدمات التي هي الصغائر تعتبر من الذنوب، ولا يجوز أن يتهاون بها المسلم، فلا يتهاون بمقدمات هذه الذنوب وما أشبهها، فعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ☻ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :"إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ كَقَوْمٍ نَزَلُوا فِي بَطْنِ وَادٍ فَجَاءَ ذَا بِعُودٍ وَجَاءَ ذَا بِعُودٍ حَتَّى أَنْضَجُوا خُبْزَتَهُمْ وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَى يُؤْخَذْ بِهَا صَاحِبُهَا تُهْلِكْهُ -[4]، المثل واضح.

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

(1) (صحيح) أخرجه (م) 233.
(2) (صحيح) أخرجه (م) 228.
(3) (صحيح) أخرجه (خ) 5889، و(م) 2657.
(4) (صحيح) أخرجه (حم) وصححه الألباني في صت 2471.